العُدولُ في حقلِ الألفاظِ الدَّالةِ على درجاتِ القَرابَة
(دِراسةٌ دَلاليَّة لألفاظ القَرابَة في القرآن الكريم والمُعلَّقات)

محمَّد الشَّحاد، د. مهنَّا الرَّشيد

قسمُ اللُّغة العربيَّةِ_ كليةِ الآداب والعلوم الإنسانيَّة_ جامعة إدلب

الملخص

تنتظم الألفاظ المتقاربة في دلالتها ضمن حقولٍ دلاليةٍ ذات سمةٍ مشتركةٍ، وهذا لا يعني أن تُستَعملَ تلك الألفاظ بالمعنى نفسه، لأنَّ ثمَّة فروقًا بين دلالتها يُمكن استخلاصها من خلال تَتَبُّع السِياقات التي تَرِدُ فيها.

يهدف هذا البحث إلى استقصاء طائفةٍ من الألفاظ الدَّالة على القرابة في كل من القرآن الكريم وشعر المُعلقات العشر، والَّتي تنتمي إلى حقلٍ دلاليٍّ واحدٍ، والوقوف على دلالتها المُعجميَّة الأصليَّة، ثمَّ استقراء سياقاتها المتعدِّدة لتحديد دلالاتها كما استُعمِلت في النَّصَّين القرآني والشِّعري، وبيان مدى العُدول عن المعنى الأصليّ من خلال توظيف دور السِّياق بنوعيه: اللُّغويّ والمقاميّ مستعينًا بما ورد في المعاجم العربيَّة، وكُتب التَّفسير في توجيه دلالة تلك الألفاظ.

الكلمات المفتاحيَّة: العُدول – الدَّلالة – الحقلُ الدَّلالي – السِّياق

Deviation in Words Indicating Kinship

A Semantic Study of the Words of Kinship in the Holy) Qur’an and Mu'allaqat)

Mouhmad Al_shahhad, Dr. Muhana al_ Rasheed

Department of Arabic language- the Faculty of Arts and Humanities

Abstract

Utterances that are similar in their meaning are organized within semantic fields with a common feature, and this does not mean that these utterances are used in the same sense, because there are differences between their meaning that can be drawn by tracing the contexts in which they are mentioned.

This research aims to investigate a range of utterances that indicate kinship in each of the Holy Qur’an and the poetry of the Ten Mu’allaqat, which belong to one semantic field, and stand on their original lexical significance, then extrapolate their multiple contexts to determine their connotations as they were used in the Qur’anic and poetic texts, and show the extent of deviation the original meaning by employing the role of the two types of context: linguistic and sitiuational. With the help of what was mentioned in the Arabic dictionaries and books of interpretation in directing the meaning of these utterances.

Key words: deviation – semantic – semantic field - Context.

أهمية البحث:

تأتي أهميَّةُ هذا البحثِ من أنَّه يتناولُ ظاهرةَ العدولِ من منطلقٍ دَلاليّ، انطلاقاً من الجذر اللُّغوي للكلمة وصولاً إلى تفسير معناه، وتحليلُها في التَّركيب اللُّغوي لِيقفَ عند تطوُّرِ الأصل بوصفه دليلاً على تطوُّر اللُّغة المستمر، وبذلك يَتَّضح التطوُّر الدَّلالي في اللُّغة، كما أنَّ دراسةَ ظاهرة العدول تُبرزُ وجهاً من وُجوه الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم، وتكشف عن فصاحة العرب، وسليقتِهم اللُّغوية.

منهجيَّة البحث:

اعتمدَ البحثُ المنهجَ الدَّلاليّ، فالدّراسةُ تقومُ على تَتبُّعِ الألفاظِ في أساليبَ دَالَّةٍ لمقارنةِ دَلالةِ اللفظةِ في أسلوبين مختلفين للكشفِ عن العدول فيهما، وأثرِ السّياق في هذا العدول.

مفهومُ العدولِ لغةً واصطلاحًا:

_ العدولُ لغةً:

ثمَّة دلالاتٌ متعدِّدةٌ للعدول، وردت في معاجم اللُّغة العربيَّة، ويشير معظمها إلى معنى الانحراف والخروج والحياد، قال ابن منظورٍ (ت 711هـ): ((وعَدَلَ عن الشَّيء يَعدِلُ عَدلًا وعُدُولًا: حاد، وعن الطَّريق: جار، وعَدَلَ إليه عَدْلًا: رَجِعَ، ومالَه مَعْدِلٌ ولا معدول، أي: مَصْرِف، وعَدَل الطَّريقُ: مال))[1]

وجاء في المعجم الوسيط ((عدلَ: عَدْلًا وعُدُولًا: مَال، ويقال عدل عن الطَّريق: حاد، وإليه رجع))[2]. ولا تقف الدَّلالة المعجميّة لمعنى العدول عند هذا المعنى فحسب، بل نجدها تحمل معنى التَّضاد والتَّقابل، إذ يشير ابن فارسٍ (ت395هـ) في مقاييس اللُّغة إلى أنَّ ((العين والدَّال واللَّام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدهما يدلُّ على استواءٍ، والآخر يدلُّ على اعوجاجٍ، فالأوَّل: العَدْل من النَّاس: المرضي المستوي الطَّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ: وأمَّا الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج، عدل وانعدل، أي: انعرج، وقال ذو الرُّمةِ:

وإنّي لَأُنحي الظَّرْف من نحوِ غيرها حياءً ولو طاوَعتُه لم يُعادِل))[3]

ومعنى لم يُعادل في البيت السَّابق: لم ينعدل،[4]

وهكذا يدور معنى العدول في اللُّغة على حياد الشَّيء، وانحرافه عن وجهته وإمالته عنها.

ـ العدولُ اصطلاحًا:

يعدُّ العدول مصطلحًا بلاغيًّا من جهةٍ لفتاته البلاغيَّة، وأنّه معنيٌّ بالبيان العربيّ، وهذا ما تزخر به كتب البلاغة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّه يشكِّل مصطلحًا دلاليًّا لاهتمامه بدلالة الألفاظ في صيغ الاستعمال المختلفة، وقد ورد مصطلح العدول بتسمياتٍ متعدَّدةٍ، يشير معظمُها إلى معاني: الخروج عن الأصل، والالتفات،

والتَّحوُّل، والانحراف، وشجاعة العربيَّة، وخرق السِّنن، أو بمعنًى آخر هو الأصل الذي يُعدل عنه وتتجاوزه الأساليب الشَّائعة، وتنحرف عنه الدَّلالات.

ووجد ابن جنِّيّ (392 هـ) أنَّ العدول ((نَحْوٌ من تكثير اللَّفظ لتكثير المعنى المعدول عن معتاد حاله، وذلك فُعال بمعنى فعيلٍ، نحو خُفاف فهو أبلغ من خَفيف، ... فلمَّا كانت فعيلٌ هي الباب المطَّرد وأريدتِ المبالغة، عدلت إلى فُعال فضارعت فُعال بذلك فعَّالًا والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحدٍ منهما عن أصله، أمَّا فُعَّال فبالزِّيادة، وأمَّا فُعَال فبالانحراف به عن فعيل))[5] وليست تلك المبالغة أو التَّكثير إلَّا إضافةً دلَّاليَّةً أفرزتها الصِّيغ المعدول إليها، ولولا هذه الحركة العدوليَّة لبقيت تلك الدَّلالات على الأصل المعدول عنه.

وقد تحدَّث الدُّكتور تمَّام عن العدول بقوله: ((الأسلوب العدوليُّ خروجٌ عن أصلٍ، أو مخالفة قاعدة، ولكنَّ هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبيّ قدرًا من الاطِّراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول الَّتي يقاس عليها))[6].

وقد عرَّف الدُّكتور أحمد ويس العدول بقوله: ((العدول استعمالٌ مبدع في اللُّغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصورًا استعمالًا يخرج بها عمَّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدِّي ما ينبغي أن يتَّصف من تفرُّدٍ وإبداعٍ وقوة جذب وأسرٍ))[7]، ويبدو لي بعد تعريف العدول لغةً واصطلاحًا، والوقوف عند دلالاته لدى بعض القدماء والمحدثين أنَّ الخروج عن المعنى المركزيّ أو العدول عن الدَّلالة الشَّهيرة ليس خروجًا حركيًّا مقصودًا لذاته، وكذلك لا يكون العدول اعتباطيًّا، وإنَّما يسوِّغ

السِّياق هذا العدول، ليغدوَ بعد ذلك عدولًا جماليًّا، وفي هذا يقول ابن جنّيٍّ: ((وإنَّما يقع المجاز، ويُعَدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثٍ، وهي: الاتِّساع والتَّوكيد، والتَّشبيه))[8]، ومن خلال السِّياق والمقام ومقتضى الحال تتَّضح أغراض العدول البلاغيَّة واعتباراته الجماليَّة، الَّتي تحصل بالعدول عن الأصل، وبها تتكشَّف جماليَّات الوحدة العضويَّة بين الشَّكل والمضمون واللَّفظ والمعنى، ويظهر دور القرائن، الَّتي تحيط بالكلام، وفي ضوء هذا الفهم للمعنى الاصطلاحيّ بالانتقال بالألفاظ من سياقها المألوف الاعتياديّ إلى سياقٍ جديدٍ، ودلالاتٍ مختلفةٍ، سيكون حديثنا عن العدول تأصيلًا وتحليلًا لطائفةٍ من الألفاظ في السِّياقين القرآنيّ والشِّعريّ.

مفهوم الحقل الدَّلالي:

يستقي المبدعون والمُتكلِّمون مفرداتِ نصوصهم الإبداعيَّة، الَّتي نقرؤها، وأحاديثهم التَّواصليَّة الَّتي نسمعها من بيئاتهم الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة، الَّتي يعيشون فيها، وتتأثَّر معاني هذه الكلمات وظلال دلالاتها بمواقفهم النَّفسيَّة وجملة الأفكار والعادات والقيم المرتبطة بالبيئة، الَّتي ينشأ فيها المبدعون، وهكذا تتميَّز بعض البيئات الاجتماعيَّة والأدبيَّة بمعجمها اللُّغويّ، الَّذي تسود فيه بعض الألفاظ، وتحقّق تكرارًا عاليًا في نصوص المبدعين وأحاديث الحياة اليوميَّة مقارنةً بنصوصٍ إبداعيَّةٍ وأخرى تواصليَّةٍ في بيئةٍ أخرى، ومن هنا تتنوَّع الألفاظ تبعًا لتنوُّعِ البيئات اللُّغويَّة، وتنوُّع الظُّروف والمُلابساتِ والأحداث.

قدَّم علم الدَّلالة نظريَّة الحقل الدَّلاليّ لتبويب الألفاظ وفقًا لميادينها، الَتي تسود فيها، من أجل دراسة تحوُّلاتها. وتقوم هذه النَّظريَّةُ على تجميع جملة من الألفاظ، الَّتي ترتبط ببعض الميادين، وتسود فيها بوضوح، ثمَّ تتبُّع تكرار هذه الألفاظ في نصوص المبدعين وأحاديث التَّواصل الاجتماعيّ في الحياة اليوميَّة، من أجل

دراستها بطريقةٍ عِلميَّةٍ منتظمةٍ، والوقوف على ما تكتسبه هذه المفردات من تحوُّلاتٍ دلاليَّةٍ في السِّياقات المتعدِّدة، لتسهم في تطوُّرِ الدَّلالة، وقَوْدٍ إلى فَهمِ الارتباطِ القائم بين الكلماتِ المُشتركةِ في جملة من الحقول الدَّلاليَّة المتعدِّدة. [9]

تقوم نظريَّة الحقل الدَّلاليّ على رصد الكلمات المتقاربة من حيثُ المعنى، ومن حيثُ السِّمة الدَّلاليَّة المشتركة، لجمعها في قائمة لغويَّة تعبِّر عن مجالٍ مفاهيميٍّ يسمَّى (الحقل الدَّلاليّ) Semantic field أو الحقل المعجميَّ Lexical field، ولهذا عُرِّف الحقل الدَّلاليُّ بأنَّه: ((مجموعةٌ من الكلمات الَّتي ترتبط دلالتها، وتُوضع عادةً تحت لفظٍ عامٍّ يجمعها))[10].

وتبدو لنا نظريَّة الحقل الدَّلاليّ نظريَّةً تصنيفيَّةً، تنطلق في مرحلتها من تصنيف المدلولات، في حقولٍ أدركها الفكرُ البشريُّ، واستعملها النَّاس في علاقاتهم ومعاملاتهم، لتتجاوزها بعد ذلك إلى دراسة جملةٍ من علاقات التَّفاعل بين كثيرٍ من الحقول في النُّصوص الإبداعيَّة وأحاديث التَّواصل اليوميّ، ونذكر من هذه الحقول الكثيرة حقل الألوان، وحقل القرابة، وحقل السَّكن، وحقل الحيوانات، وحقل الطَّبيعة، وحقل القتال، وحقل الصِّفات ... إلى غير ذلك من المدلولات التي يجمعها حقلٌ واحدٌ يعبِّر عنها، ويشرح دلالتها، وهذا ما أشار إليه أولمان في تعريفه للحقل الدَّلاليّ: ((هو قطاعٌ متكاملٌ من المادَّةِ اللُّغويَّةِ يعبِّر عن مجالٍ معيَّنٍ من الخبرة))[11]

يحتوي الحقل الدَّلاليُّ الواحد على مجموعةٍ من المفرداتِ، وقد تنتمي المفردة الواحدة إلى أكثر من حقل دلاليٍّ واحدٍ، كلفظة القمح، الَّتي تنتمي إلى حقل الزِّراعة وحقل التِّجارة معًا، وقد يحتوي الحقل الدَّلاليُّ الواحد على ألفاظ متضادَّة، كالعلمِ والجهلِ، والفرحِ والحزنِ، ويعين تصنيف الألفاظ باعتبار معانيها على فهمِ تلك الألفاظ، وفهمِ العلاقةِ الدَّلاليَّة فيما بينها. وهذا ما عبَّر عنه فندريس بقوله:

((إنَّ الذِّهن دائمًا يميلُ إلى جمْع الكلماتِ، وإلى اكتشــافِ عُرًى جديدةٍ، تجمعُ بينها، فالكلماتُ تَثْبتُ دائماً بعائلةٍ لغويَّةٍ))[12]

ومن هنا وجدنا من المناســـب أن ندرس العدول وأَثَرَه في التَّطوُّر الدَّلاليّ بالاعتماد على نظريّة الحقول الدَّلاليَّة، ممَّا يضـــبط البحث ويؤطِّره، ويجعله أكثر منهجيَّة وانتظامًا، إذ تنتظم كلُّ طائفةٍ من المدلولات المشتركة في حقلٍ واحدٍ، وهذا يســـاعدنا على الانطلاق من دلالاتها المعجميَّة، للوقوف عليها وعلى تحوُّلاتها السِّـــياقيَّة بعد ذلك، ويمكن لدارس العربيَّة أن يعثر على كثير من الألفاظ الَّتي تتباين دلالتها عند الاســـتعمال، ووفق السِّـــياقات الَّتي ترد فيها، ذلك أنَّ الوقوف على المعنى مقصـــدٌ مهمٌّ من مقاصـــد علوم الدَّلالة والتَّأويل والتَّفسـير والدِّراســات اللُّغويَّة المتعدِّدة.

وفيما ســيأتي ســنعرض دلالاتِ بعضٍ من ألفاظ الحقل الدَّالّ على القرابة، الَّتي رصـــدنا تحوُّلاتها الدَّلاليَّة في ســـياقات متعدِّدة في كلٍّ من معلَّقات الشِّـــعر الجاهليَّة العشر والقرآن الكريم، لنقف على أثر السِّياق ونظريَّة الحقول الدَّلاليَّة في توجيه دلالاتها انطلاقًا من المعنى المعجميّ العامّ وعلاقة المفردة بمفردات حقلها الدَّلاليّ، وذلك بهدف الوصـول إلى تحوُّلات دلالتها كما اسـتُعمِلتْ في نصّ قرآنيٍّ أو شعريٍّ جديدٍ، وستعيننا المعاجم العربيَّة وكُتُب التَّفسير في تتبُّع تحوُّلات المعنى في كلٍّ من السِّـــياق اللُّغويّ، والسِّـــياق المقاميّ ومعرفة أثر كلٍّ منهما في توجيه دلالةِ تلك الألفاظ. لما لذلك من أهمّيَّةٍ في تفسـيرِ النَّصّ بمنهجٍ سـياقيٍّ متكاملٍ، فالاقتصـــار على الدَّلالة المعجميَّة أو السِّـــياق اللُّغويّ يجْعل النَّصَّ بنيةً لغويّةً منغلقةً على نفسـها لا تتجاوز ما تُفيدُهُ الألفاظ من دلالاتٍ لغويَّةٍ شـهيرة غير قابلة للتَّجـديـد أو التَّوليـد الـدَّلاليّ بمـا يتنـافى مع منطق تطوُّر اللُّغـة ذاتهـا، كمـا أنَّ الاقتصـــار على السِّـياق الخارجيّ يجعل الدِّراســة تحوم حولَ النَّصّ، ولا تَنْفذ إلى جوهر التَّطوُّر الدَّلاليّ.[13]

العدول في الألفاظ الدَّالَّة على القرابة: (دراسة تطبيقيَّة)

الجدُّ ـ الأب ـ الأمُّ ـ الأخ ـ الوليد

الجدُّ:

جاء في لسان العرب: ((الجدُّ أبو الأب، وأبو الأمّ معروفٌ، والجمع أجدادٌ وجدودٌ. والجَدَّة أمُّ الأمّ، وأمُّ الأب، وجمعها جدَّات. والجَدُّ: البختُ والحُظوة. والجدُّ: الحظُّ والرِّزق، والجَدُّ: العظمة وفي التَّنزيل العزيز: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنُّ: 3]، قيل: جَدُّه عظمته وقيل غناه))[14]

إلَّا أنَّ القرآن الكريم لم يستعمِلْ لفظةَ (جَدّ) للدَّلالة على أبي الأب أو أبي الأمّ، لا بصيغة الإفراد، أو التَّثنية والجمع، وإنَّما استعمل لفظة (أبٍ) للدَّلالة على الجدّ وجدّ الوالد أيضًا، وذلك في قوله تعالى على لسان يعقوبَ مخاطبًا ابنه يوسفَ عليهما السَّلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6]، فدلَّ لفظ (أبويك) على جدّ الأب (إبراهيم) والجدّ (إسحاق بن إبراهيم)، وعبَّر عنهما بأنهما أبوان ليوسف مع أنَّ إبراهيم جدُّ أبيه وإسحاق جده للإشعار بكمال ارتباطه بالأنبياء عليهم السلام ولإدخال السرور على قلبه، وهذا الاستعمال مألوفٌ في لغة العرب، وكان أهل مكة يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: يا بن عبد المطَّلب[15] وكما ورد على لسانِ سيِّدنا يوسف عليه السَّلام ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38]، فذكر جدَّ أبيه (إبراهيم)، وجَدَّه إسحاق، وأباه يعقوب.

وورد لفظ (جدٍّ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنُّ: 3]، والجَدُّ: بفتح الجيم العظمة والجلال، وهذا تمهيدٌ وتوطئةٌ لقوله: (ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)، ((لأنَّ اتِّخاذ الصَّاحبة للافتقار إليها لأُنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها، وكلُّ ذلك من آثار الاحتياج، والله تعالى الغنيُّ المطلَق، وتعالى جَدُّه بغناه المطلق، والولد يُرغَب فيه للاستعانة والأنس به، مع ما يقتضيه من انفصاله من أجزاء والديه وكلُّ ذلك من الافتقار والانتقاص))[16]

ومع أنَّ دلالةِ لفظة (جدٍّ) لم ترِدْ في القرآن على معناها المعجميّ (أبي الأب) إلَّا أنَّ حقيقة الأمر أنَّ الجَدَّ بمنزلة الأب، لأنَّه أصْلُ النَّسل، وبسببه كان الوالد والولد معًا. ثمَّ إنَّ له من الحقوق والواجبات ما للأب وما عليه من ذلك، ناهيكَ عن المشاعر والعواطف وما فيها من عطفٍ وشفقةٍ من الجَدِّ تجاه حفيده، والَّتي قد تفوق عاطفةَ الأبوَّة الحقيقيَّة.

أمَّا في المعلَّقات فقد وردَتْ لفظة (جَدِّك) مضافةً إلى الضَّمير الكاف في قول طرفة بن العبد:[17]

ولولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى وجَدِّك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدي

فلم تُفد لفظة (جَدِّك) المعنى المركزيَّ بل تجاوزتْهُ في سياق التَّوكيد على حبِّ خصالٍ يفعلها الشَّاعر، ويعتبرها من أسباب لذَّة الفتى الكريم، وأنَّه لا يبالي متى جاء أجلُهُ فيموت. فكانت دلالة اللَّفظة على القَسَمِ لما توحيه لفظة (جدٍّ) من شرف الأصل وكرمه، وكأنَّه يحلِفُ بما هو عزيزٌ عليه، وقِيلَ: إنَّ معنى (وجَدِّك) هو (وأبيك)[18]، وهذا يشير إلى أنَّ في اللَّفظ دلالة القرابة بما تضمنته من انزياح عن المعنى الأصليّ.

حتَّى إنَّ الشَّاعر الجاهليَّ إذا أراد أن يفتخر بنسبه وأصله فإنّه يستعمل كلمة (الجدّ)، كقول امرئ القيس:[19]

ولَرُبَّ ماجدةِ الْجدودِ كريمةٍ واصلْتُها بمُمَتَّعِ الوَصْلِ

فهو لا يرضى أنْ يكون وِصالُه إلَّا بكريمة الأصل، ماجدة الجدود.

الأبُ:

يتَّسع الأصل اللُّغويُّ لهذا اللَّفظ حتَّى يدلَّ على الوالد والجدِّ، وكذلك العمّ، وعلى صاحب الشَّيء، وعلى منْ كانَ سببًا في إيجاد شيءٍ أو ظهوره، أو إصلاحه. والجمع: آباءٌ وأبُوٌّ وأبُوَّةٌ.[20]

وقد وردت لفظة (الأب) في القرآن الكريم على أربعة معان:

الوالد: كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: 35]، أي: وأمّه ووالده، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ [الأنعام: 72]، أي والده، فآزرُ كان والد سيّدنا إبراهيم عليه السَّلام.

الجدُّ: حيث يُطلق لفظُ ((الأب)) على الجدِّ إذا علا، نحو قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجُّ: 78]، وورد أيضًا مجموعًا للدَّلالة على سلسة الأجداد كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ«75» أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ «76» فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ «77» ﴾ [الشُّعراء:75 – 77].

العمُّ: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]، والمراد: أجدادك وأعمامك ووالدك، لأنَّ إبراهيم عليه السَّلام كان جدًّا ليعقوب عليه السَّلام، وإسماعيل عليه السَّلام كان عمًّا ليعقوب عليه السَّلام، وإسحاق عليه السَّلام كان والد يعقوب عليه السَّلام.

وتعدّدت دلالات لفظ (الأب) في المعلَّقات أيضًا حسب السِّياق، الَّذي ترد فيه تلك اللَّفظة، وما تُنتجه من دلالةٍ يوحي بها السِّياق. وهكذا فقد استعمل شعراء المعلَّقات العشر لفظة (الأب) للدَّلالة على (الوالد) نحو قول عنترةَ:[21]

عُلِّقْتُها عَرَضًا وأَقتُلُ قومَها زعمًا لَعَمرُ أَبيكَ لَيسَ بمَزْعَمِ

وهذا فضـــلًا عن دلالتها على الوالد فقد أفادتِ القسَـــم الَّذي يُراد منه التَّوكيد، وهو أســـلوبٌ معروفٌ تســـتخدمه العربُ كثيرًا في خطابها وقريبٌ من ذلك قول زهيرٍ:[22]

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ثمانينَ حَولًا لا _أبا لَكَ_ يَسْأَمِ

وقد تكرَّرت عبارة (لا أبا لك) في شعر شعراء المعلَّقات، وهي عبارةٌ جرت مجرى المَثَل، تُستعمل غالبًا في سياق الشَّكوى والرَّدْع والزَّجر.

ووردت أيضًا لفظة (الأب) للدَّلالة على الأجداد في قول لبيدٍ:[23]

مِنْ مَعشرٍ سَنَّتْ لهم آباؤُهُم ولكلّ قومٍ سُنَّةٌ وإمامها

وجاءت بمعنى (الأعمام) في قول عمرِو بن كلثومٍ:[24]

وكنَّا الأيْمَنِيْنَ إذا التَقَيْنا وكان الأَيْسَرِيْنَ بنو أَبِيْنَا

قال ابْنُ السِّكِّيتِ: أي ((كنَّا يوم خزازى في الميمنة وكان بنو عمِّنا في الميسرة))[25]

الأمُّ:

تتعدّد المعاني اللُّغويَّة للفظ الأمّ، إلَّا أنَّ ما ذُكِر من تلك المعاني في مختلف المعاجم مردُّه إلى ما جاء في مقاييس اللُّغة: ((أمٌّ: وأمَّا الهمزة والميم

فأصـلٌ واحدٌ، يتفرَّع منه أربعة أبوابٍ، وهي الأصـل، والمرجِع، والجماعة، والدِّين. وهذه الأربعة متقاربةٌ، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثةٌ، وهي العامَّة، والحين، والقَصْد. قال الخليل: الأمُّ الواحد والجمع أمَّهات، وربمَّا قالوا أمٌّ وأمَّاتٌ. قال شـاعرٌ، وجمع بين اللُّغتين:

إذا الأمَّهات قَبَحْنَ الوجوهَ فَرَجْتَ الظَّلام بأمَّاتكا)) [26]

ومن هذه الدَّلالة المعجميَّة تُسـتَّمَد الدَّلالة العرفيَّة والاصـطلاحيَّة، فأمُّ الإنسـان سـمِّيت بذلك لأنَّها الأصـل الَّذي خرج منه الإنسـان، ولأنَّه يؤمُّها في احتياجاته وأموره، وخاصَّةً في مرحلة الصِّغر.

وقد وردت لفظة أمّ بمعانٍ مختلفة في القرآن الكريم، وعُدِل عن دلالتها المركزيَّة إلى دلالاتٍ سياقيَّةٍ أحدثَتْ تطوُّرًا في دلالة هذا اللَّفظ، من ذلك أنَّها وردت بمعنى الوالدة في قصَّة سيِّدنا موسى حين ولادته وما رافق ذلك من أحداثٍ. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7].

وقد وصف سيِّد قطب مشهد تلك الأمِّ بقوله: ((هذا هو المشهد الأوَّل في القصَّة، مشهد الأمِّ الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة، تتلقَّى الإيحاء المطمئنَ المبشِّر المريح. وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور بردًا وسلامًا))[27].

وتبدو لي كثيرٌ من دلالاتِ الحبِّ والحنان والعطف والرَّحمة والخوف على الولد والقلق عليه، تحيط بلفظ الأمِّ في القرآن الكريم، ولا سيَّما أنَّ موسى–عليه السَّلام– طفلٌ رضيعٌ ليس له من يؤُمُّه، أو يعينه سوى أمِّه. ونلاحظ بلاغة القرآن حين لم يستعمل لفظ والدته لما فيها من إشارةٍ إلى معنى الولادة فقط، غير أنَّ أمَّ موسى قد حملت رضيعها وأرضعتْه مدَّة قبل أن تُلقيه في النَّهر.

وكذلك تتعدَّد دلالاتُ لفظ (أمّ) في المعلَّقات، فقد استعملها أصحاب المعلَّقات العشر للدَّلالة على الوالدة كقول عمرٍو بن كلثوم:[28]

صَدَدْتِ الكأسَ عنَّا أمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وبعضهم يروي البيت لعمرٍو ابن أختِ جذيمةَ الأبرش، وأمُّ عمرٍو هذه المذكورة تصدُّ عنه الكأس.

وجاءت لفظة أمّ متصدِّرةً بعض الأسماء في شعر المعلَّقات للدَّلالة على الكنية، كقول امرئ القيس في سياق الغزل: [29]

كَدأبِك من أمِّ الحُويرث قبلها وجارَتِها أمِّ الرَّباب بمأسَلِ

وربما تشترك الدَّلالة هنا بين دلالتها على معنى الكنية ومعنى الوالدة، لأنَّ أمَّ الحويرثَ هي هرُّ أمُّ الحارث بن حُصين بن الكلبيّ.[30]

وكنَّى زهير عن المنيّة بـ (أمِّ قشعم) في قوله عند تعريضه بحصين بن ضمضمٍ، الَّذي رفض أن يدخل في صلح عبسٍ وذبيانَ، فشدَّ على رجلٍ من عبسٍ فقتله:[31]

فشدَّ ولم يُنظر بيوتًا كثيرةً لدى حيثُ ألقت رحلها أمُّ قشعم

وهكذا تتوارد الدَّلالات المختلفة حسب السِّياق الَّذي ترد فيه مما ينتج دلالةً جديدةً غير الدَّلالة المعجميَّة، واكتساب المعنى المركزيّ معانيَ إضافيَّةً لم تكن لتظهر لولا السِّياق الَّذي وضَّح دلالتها.

وفي نهاية الحديث عن دلالات مفردتي (الأب والأمّ) تجدُرُ الإشارة إلى التَّفريق بين ألفاظ

(الأب والوالد، والأمّ والوالدة)، وكما ذكرنا سابقاً فإن الأبَ يُطْلق على الأب المباشر وعلى الجدّ وإن علا، كما ورد مجموعاً للدَّلالة على سلسلة الأجداد. أمَّا دلالة الوالد في الاستعمال القرآنيّ فقد اقتصرت على معنى الأب المباشر، الَّذي هو سبب وجود الابن[32]، وفي أكثر المواضع جاء في صيغة المثنَّى إيماءً إلى أنَّ الأنثى هي الوالدة على الحقيقة، وألحق بها الأبُ، وذلك كون الأب هو السَّبب المباشر في وجود الابن، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: 83]. وفي ذلك إشارةٌ إلى دقَّة التَّعبير القرآنيّ ومراعاته السِّياق، وما يقتضيه لتحقيق الدَّلالة المرادة والتَّوجُّه القرآنيّ المقصود.

وَلَدٌ:

الوليدُ: الصَّبيُّ حين يُولَد، وقال بعضهم: تُدعَى الصَّبيَّة أيضا وليدًا، وقال بعضهم: بل هو للذَّكر دون الأنثى، وقال ابن شميل: يقال، غلامٌ مولودٌ وجاريةٌ مولودةٌ، أي حين ولدته أمُّه، والولد اسم يجمع الواحدَ والكثير والذَّكر والأنثى.[33] وجاء في تحقيق الكلمة ((والتَّحقيق: أنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو خروج شيء ونتاجه بالتَّكوُّن منه، سواءً كان حيوانًا أو غيره ماديًّا أو معنويًّا))[34].

وقد وردت لفظة (ولدٍ) في القرآن الكريم بصيغتي الإفراد والجمع، وباستقراء السِّياقات الَّتي وردت فيها هذه اللَّفظة نجد عدَّة دلالاتٍ لها، ومنها:

الولد المنحدر من الصُّلب: جاءت لفظة (ولدٍ) في القرآن الكريم للدَّلالة على كلّ مولودٍ لوالدين، ذكرًا كان أم أنثى، ويتَّضح ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ «15» فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ

وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ«16»﴾ [التَّغابن:15 - 16]، فإنَّ من الأزواج أزواجًا يعادِين بُعولتهنَّ ويخاصمونهم، ويجلبْنَ عليهم، ومن الأولاد أولادًا يُعادون آباءهم ويعقُّونهم[35]، ويجرّعونهم الغصص والأذى وإنَّ اقتران لفظة (أولاد) بالأزواج، لتدلَّ على الولد من صُلب أبيه، وكذلك في الآية التَّالية (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وما في نعمة الأولاد من فتنةٍ نتيجة حبِّهم والتَّعلُّق بهم وهذا لا يكون إلَّا للولد من صلب الرَّجل، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النِّساء: 12]، ومعنى (كان لهنَّ ولد)، أي منكم أيُّها الوارثون أو من غيركم. والولدُ هنا ظاهره أنَّه مَنْ ولدتهُ لبطنها ذكرًا كان أو أنثى واحدًا كان أو أكثر[36]. فالولد الحقيقيُّ لا يكون إلَّا لبطن أمِّه وصُلبِ أبيه، وهذا ما يفسِّر تعجُّبَ مريم عليها السَّلام حين بُشِّرَت بالمسيح عليه السَّلام، فقالت: (ربِّ أنَّى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشرٌ).

الدَّلالة على ولدِ الولد: قد تدلُّ لفظة (ولدٍ) على وَلَد الولد. قال أبو حيَّانٍ: ((والولد حقيقةً في ولد الصُّلب، ويُستَعمل في ولد الابن، والظَّاهر أنَّه مجازٌ. إذ لو كان حقيقةً بطريق الاشتراك أو التَّواطؤ لشارك ولد الصُّلب مطلقًا، والحكم أنَّه لا يرثُ إلَّا عند عدَم وجود ولَدِ الصُّلب، أو عند وجود من لا يأخذ جميع الميراث منهم)).[37]

الدَّلالة على وليدٍ_ وِلْدانٍ: وردت لفظة (وليدٍ) في القرآن الكريم مرَّةً واحدةً، وهي على وزن (فعيلٍ) بمَعنى (مفعولٍ)، أي مولوداً للدَّلالة على الصَّبيّ حديث الولادة. قال تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 18]، أي ألم نُنْعم عليك، ونقُم بتربيتك، منذ كنت وليدًا في مهدك[38]، وكلمة (مهدك) إشارةٌ إلى صغر سنِّه وأنَّه بحاجةٍ إلى مزيد عنايةٍ واهتمامٍ وخاصَّةً أنَّ اللَّفظة جاءت في سياق مَنّ فرعون على موسى عليه السَّلام ليذكّره بأمر تربيته ورعايته يوم أنْ كان رضيعاً ضعيفاً لا يقوى على شيءٍ.

وكما استُعمِلتْ اللَّفظة بصيغة الجمع (وِلْدانٌ) في سياق الدَّلالة عن الأطفال الضُّعفاء الَّذينَ لم يبلغوا الحُلُم، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 75]، واستُعمِلت كذلك للدَّلالة على الخلق الَّذينَ يخدمون أهل الجنَّة في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ «17» بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ«18» لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ«19» وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ«20» وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ«21» وَحُورٌ عِينٌ«22» كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ«23» جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ«24» لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا«25» إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا«26» وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ«27» فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ«28»﴾ [الواقعة:17 28] المعنى: أنَّه يدور على أهل الجنَّة للخدمة وقضاء حوائجهم، وِلْدانٌ صغار الأسنان، في غاية الحُسْن والبهاء.[39]

ومن دلالات لفظ (ولدٍ) في القرآن الكريم الدَّلالة على التَّبنّي، وذلك ممَّا ورد على لسان امرأة فرعون، ولم يكن عندها ولدٌ ذكرٌ ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9]

فإنَّ فيه مخايل اليُمْن ودلائل النَّفع، وهو أهل للتَّبنِّي ولِأنْ يكون ولدًا لبعض الملوك.[40]

ومثل ذلك أيضًا ما جاء على لسان عزيز مصر: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]. فالعزيز لم يكن له ولدٌ، فأراد أن يكون يوسف عليه السَّلام له كالولد في النَّفع.

وقد ورد لفظ (ولدٍ) في المعلَّقات العشـــر بدلالاتٍ مختلفةٍ، فوردت بمعنى الولد المنحدِر من الصُّـلب في سـياق اعتذار النَّابغة من النُّعمان بن المنذر، وأنه مستعدٌ للتَّضحية من أجله بكل ما قد جمع من مالٍ وما عنده من ولدٍ، في قوله:[41]

مهلًا فداءٌ لك الأقوام كُلُّهُمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ

وجاءت كذلك بلفظ (الوليد) للدَّلالة على الخادمة الشَّابَّة في سياق وصف مَضـرب القوم وأنَّ هذه الجارية قد ردَّت ما تفرَّق من تراب النؤي الَّذي يُعمَل حول الخيمة والبيت لئلَّا يصل إليهما الماء، وكيف ألصقت بعضـه ببعضٍ بأن ضـربته بالمسحاة، وهو ما يزال رطباً نديًّا.

كقول النَّابغة:[42]

ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّدَهُ ضرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ

الأخُ:

جاء في اللُّغة أنَّ الأخ ((من جمعك وإيَّاه صُلْبٌ أو بطنٌ أو هما معًا. ومن الرَّضاع: من يشارك في الرَّضاعة. والصَّديق. وفي المثل: (إنَّ أخاك من آساك)،

و(ربَّ أخٍ لك لم تلده أمُّك). والشَّـريك المثل. وأخو الشَّـيء: صـاحبه وملازمه. يُقال: هو أخو الأسـفار: كثيرها. وأخو القبيلة: أحد رجالها. وتُجمع هذه اللَّفظة على أخاءٌ وإخوانٌ. ويُقالُ أخوَّةُ الوداد أقرب من أخوَّة الولاد))[43].

وقد تكرَّرت كلمة (أخٍ) واشـتقاقاتها في القرآن الكريم، لكنَّها تحمل معاني مختلفةً في كلِّ موضعٍ وردت فيه متأثِّرةً بالسِّياق والجوِّ العامِّ للسِّورة ومنها:

الأخوَّة النَّسَبيَّة: وتطلق على الأخوين أو الإخوة الَّذينَ وُلدوا من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، كقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 30] وذلك في سياق قصَّة قابيل وأخيه هابيل، أو أنْ تكون الأخوَّة من أبٍ واحدٍ دون الأمِّ، أو أن يكون الأخوة أخوة أمٍّ أنجبتهم بعضهم من زواجها الأوَّل وبعضهم الآخر من زواجها الثَّاني، وقد قال تعالى في الحديث عن إخوة نبيِّ الله يوسف من أبيهم يعقوب: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 63]

الأخوَّة في الرَّضـاعة: نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَـعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَـاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَـائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَـائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْـلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النِّسـاء: 23] وفي الآية دَلالةٌ واضـحةٌ في تحقيق مبدأ الأخوَّة من الرَّضـاعة لاعتباراتٍ كثيرةٍ، وإطلاق لفظ الأخت على كلِّ أنثى رضعت مع أيِّ ذكرٍ من ثدي مُرضِـعةٍ واحدةٍ، وكذلك يُطلق لفظ الأمِّ على أمِّ الرَضـاعة إلى جوار الأمِّ، الَّتي حملت جنينها وولدته[44].

الأخوَّة في الدِّين: كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]. فجاء لفظ الأخ مجموعًا في بداية الآية، ثمَّ في حال التَّثنية، ممَّا يؤكِّد أنَّ الأخوَّة الإيمانيَّة أو الدِّينيَّة هي الأخوَّة الثَّابتة، وفي العدول عن استعمال الضَّمير في صيغة الجمع إلى الاسم الظَّاهر دلالةٌ على المبالغة في وجوب الإصلاح بين الإخْوة لكونها ركيزة الدِّين وأقوى من أُخوَّة النَّسب.45

أمَّا في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21]. ففي هذا السِّياق الدَّعويّ والتَّحذير من معارضة الدَّعوة إلى الدِّين الإسلاميّ والاعتبار بالأمم السَّابقة، يرد لفظ (الأخ) لما يحمله هذا اللَّفظ من دلالةٍ على التَّسامح فلم يذكر القرآن اسم هودٍ صريحًا بل (أخا عادٍ) لتكونَ الدَّعوة أكثر تأثيرًا، وأخو عادٍ هو هودٌ عليه_ السَّلام يذكره القرآن هنا بصفته صفة الأخوَّة لقومه، ليصوِّر صلة الودِّ بينه وبينهم، وصلة القرابة الَّتي كانت كفيلةً بأن تعظهم إلى دعوته، وتحسِّن ظنَّهم بها وبه. وذات الصِّلة بين محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم وقومه الَّذينَ يقفون منه موقف الملاحاة والخصومة [46]. فلفظ الأخ في هذا الموضع لم يقصد به الأخوَّة النَّسَبيَّة ولا أخوَّة الدِّين، وإنَّما يُراد بها أُخوَّة الانتماء إلى عاد كما كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في انتمائه إلى العرب.

وقد ورد لفظ (الأخ) في المعلَّقات مرَّةً واحدةً، وأُريد به المعنى المجازيَّ بإضافة اللَّفظ إلى دلالاتٍ ليست من جنس المضاف إليه، ومثل ذلك قول طرفة: [47]

أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضريبةٍ إذا قيل: مهلًا قال حاجزُه:" قَدِي

والمعنى أنَّ هذا السَّـيف سـيفٌ يُوثَق بمضـائه كالأخ الَّذي يوثق بإخائه، فليس ثمَّة دلالةٌ على الأُخوَّة الحقيقيّة أو الأخوَّة بدلالتها المعجميَّة، وإنَّما إضـفاء تلك الصِّـفة على من لا يمتلكها حقيقةً[48].

خاتمةُ البحثِ:

وقفنا في هذا البحث على قضيَّة العدول الدَّلاليّ وفق نظريَّة الحقول الدَّلاليَّة للألفاظ الدَّالة على القرابة في كلٍّ من القرآن الكريم ومعلَّقات الشِّعر الجاهليّ، ومن خلال البحث والمطالعة في أشهر المعاجم والمصادر والدِّراسات السَّابقة وجدنا أنَّ العدول نوع من أنواع التَّطوُّر الدَّلاليّ وشكل من أشكال الانزياح بالألفاظ عن دلالاتها المعجميَّة أو التَّقليديَّة الشَّهيرة نتيجة لتداول الألفاظ واستعمالها في سياقاتٍ لغويَّةٍ متعدِّدةٍ.

يبدو البحث في نظريَّة الحقل الدَّلاليّ من هذه النَّاحية بحثًا مهمًّا في كشفه عن واحدةٍ من أهمِّ غايات اللُّغة ووظائف مفرداتها التَّداوليَّة عند اسـتعمالها للتَّعبيرِ عمَّا يريدُهُ المتكلِّمُ، ويُمثِّل هذا البحث طريقةً مهمَّةً لفهمِ تحوُّلات المعنى في دلالاتِ المفرداتِ عنْدَ وجودِها في حقلها الدَّلاليّ، وبعد انتظامها في تركيبٍ يُبرِزُ معناها الجديد المختلف عن معنى تِلْكَ الألفاظ الَّتي قدْ تبدو مقاربةً لها، أو مشـابهةً لها، وكذلك يكشـف البحث في نظريَّة الحقول الدَّلاليَّة عن الوظائف الدَّلاليَّة في المفردات والوحدات اللُّغويَّة نظرًا لارتباطها بالسِّياق والظُّروف المُحيطة.

وقد خلصنا إلى تسجيل أهمِّ نتائج البحث، وتلخَّصت في النُّقاط الآتية:

1. اعتنى القرآن الكريم وشعراء المعلَّقات بالجانب الدَّلاليّ عناية كبيرة، وتسبَّبت سياقات الألفاظ المتعدِّدة بتحوُّل في دلالة الألفاظ بما يُشبه الرُّخصة الإبداعيَّة، الَّتي تسمح لسياق المعلَّقة والآية القرآنيَّة أن يستخدم اللَّفظة وفق دلالة تقليديَّة أو يعدل بها إلى دلالةٍ جديدةٍ نسبيًّا أو كلِّيًّا.

2. ساعد كلٌّ من السِّياق الشِّعريّ والسِّياق القرآنيّ على ضبط الدَّلالة الجديدة أو توجيهها، ونفى السِّياق المضبوط عن اللَّفظة تعدُّد احتمالات المعنى.
3. يرتبط العدول بشكل أساسيٍّ بالمقصد الدَّلاليّ، الَّذي يتحكَّم فيه السِّياق، ويحدِّد المعنى المراد.
4. ساعد السِّياق في كلٍّ من النَّصِّ القرآنيّ والنَّصِّ الشِّعريّ عن على تسويغ العدول، وضبط الدَّلالة المرادة.
5. أسهمت نظرية الحقول الدَّلالية في إدراك التقارب الدَّلالي بين الألفاظ، ومعرفة الفروق الدَّقيقة فيما بينها.

حواشي البحث:

1. ابن منظورٍ، محمَّد بن مكرم بن عليٍّ جمال الدِّين، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، اعتنى بتصحيحها محمَّد عبد الوهَّاب ومحمَّد الصَّادق العبيديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط3، 1999م، ج9، ص: 86.
2. المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، مصر، مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، ط4، 2008، ص: 588.
3. أبو الحسن أحمد بن فارسٍ بن زكريَّا، مقاييس اللُّغة، تحقيق وضبط عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمشق، ج4، ص: 246، ص: 247.
4. ينظر: لسان العرب، ص: 86.
5. أبو الفتح، عثمان بن جنّيٍّ، الخصائص، تحقيق محمَّد علي النَّجَّار، المكتبة العِلميَّة، مصر، ج3، ص: 267.
6. حسَّان، تمَّام، البيان في روائع القرآن، (دراسة لغويَّة وأسلوبية للنَّصِّ القرآنيّ)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص: 347.
7. ويس، أحمد، الانزياح من منظور الدِّراسات الأسلوبيَّة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م، ص: 7.
8. الخصائص، ج2، ص: 442.

9. ينظر: د. طحَّان، ريمون، الألسنيَّة العربية، دار الكتاب اللُّبنانيّ، ط2، 1981، ص: 92. وينظر: عزُّوز، أحمد، أصولٌ تراثيَّةٌ في نظرية الحقول الدَّلاليَّة، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، 2002، ص: 15.
10. مختار عمر، أحمد، علم الدَّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص: 79.
11. مختار عمر، أحمد، علم الدَّلالة، ص:79.
12. فندريس، جوزيف، اللُّغة، ترجمة عبد الحميد الدّوخلي ومحمد القصَّاص، تقديم فاطمة خليل، المركز القوميُّ للتَّرجمة، القاهرة، 2014، ص: 333، وعزُّوز، أحمد: أصولٌ تراثيَّةٌ في نظرية الحقول الدَّلاليَّة، ص: 13.
13. ينظر: عادل رشاد غنيم، المنهج السِّياقيُّ وأثره في تطوير دراسات التَّفسير، بحثٌ مقَدَّمٌ للمؤتمر الدُّوليّ لتطوير الدِّراسات القرآنيَّة، الملك سعود، 1434هـ، 2013م، ص: 17.
14. ابن منظورٍ، محمَّد بن مكرم بن عليٍّ جمال الدِّين، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، اعتنى بتصحيحها محمَّد عبد الوهَّاب ومحمَّد الصَّادق العبيديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط3، 1999م، مادة (جدَد)، ص: 198، 199.
15. ينظر: الطَّنطاويُّ، محمَّد سيِّد، التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، ط1، 1998، ج7، ص: 313.
16. ابن عاشورٍ، التَّحرير والتَّنوير، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، 1984، الجزء29، ص:222
17. شرح المعلَّقات العشر، التِّبريزيُّ، ضبطه وعلّق عليه: د. عمر فاروق الطَّبَّاع، مؤسَّسة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص: 101.
18. شرح المعلَّقات العشر: التِّبريزيُّ، ص: 101.
19. الدِّيوان، امرؤ القيس، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص: 262.
20. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، القاهرة، مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، ط4، 2008، باب الهمزة، ص: 4.
21. شرح المعلَّقات العشر، ص:201.
22. شرح المعلَّقات العشر، ص:139.

23. شرح المعلَّقات العشر، ص: 186.
24. شرح المعلَّقات العشر، ص: 252.
25. شرح المعلَّقات العشر، ص: 252
26. مقاييس اللُّغة، ج1، ص: 21- 22.
27. سيِّد قطب، في ظلال القرآن: دار الشُّروق، بيروت، ط17، 1412هـ 2679/5.
28. شرح المعلَّقات العشر، ص: 238
29. شرح المعلَّقات العشر، ص: 73
30. شرح المعلَّقات العشر، ص: 37
31. شرح المعلَّقات، ص: 37
32. ينظر: محمَّد داود، محمَّد، معجم الفروق الدَّلاليَّة في القرآن الكريم، دار غريب للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2008، ص:200.
33. لسان العرب، مادة (ولد)، ج 15 ، ص :392 .
34. المصطفويُّ، حسن، التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العلَّامة مقاييس اللغة، ج1، ص: 203.
35. التَّحرير والتَّنوير، ج6، ص: 135.
36. أبو حيَّان الأندلسيُّ، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1993م، ج3، ص: 196.
37. أبو حيَّان، البحر المحيط، ج3، ص: 189.
38. تفسير السَّعديّ، عبد الرَّحمن ناصر السَّعديّ، قدم له الشَّيخ، عبد الله عبد العزيز بن عقيلٍ والشَّيخ محمَّد الصَّالح العثيمين، حقَّقه واعتنى به، عبد الرَّحمن بن معلّا اللُّويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص: 590.
39. تفسير السَّعديّ، ج8، ص: 833. والتَّحرير والتَّنوير، ج4، ص: 485.
40. التَّحرير والتَّنوير، ج4، ص: 485
41. ينظر التِّبريزيُّ، شرح المعلَّقات العشر، ص: 338.
42. التِّبريزيُّ، شرح المعلَّقات العشر، ص: 332
43. المعجم الوسيط، ص: 9.
44. ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير، ج4، ص: 297.

45. ينظر: أبي السُّعود محمَّد بن محمَّد العماديّ إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ج6، ص: 3266.
46. سيّد قطب، في ظلال القرآن: دار الشُّروق، بيروت، ط17، 1412هـ، ج6، ص: 3266.
47. الزَّوزنيُّ، شرح المعلَّقات العشر، ص: 120. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964 م، ج11، ص: 135.
48. ينظر: التِّبريزيُّ، شرح المعلَّقات العشر، ص: 108.